

قصة الانهاية

للكاتب الروسي أنطون تشيخوف
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

وجدت الباب الداخلي
غير موصد ، ففتحت
ومررت إلى المدخل
فلم أر أي بصيص من
الضوء ، فقد كان
الظلام حالكا . وفي
ذلك الظلام شمت
رائحة بخور يملأ الجو .

وبينا أنحس طريق للخروج من المدخل صدمت
كوعى بشئ مصنوع من الحديد ، وتمثرت في
الظلام بمائدة لم أتبين نوعها فكادت تسقط على
الأرض . واهتديت آخر الأمر إلى الباب المغطى
بقماش من الصوف الخشن ، فجترته إلى ردهة
صغيرة

وما أكتب الساعة قصة خيالية ؛ وأبعد
ما أفكر فيه هو إثارة مخاوف القارئ ، ولكن
الصورة التي وقع عليها نظري وقد تخطيت عتبة
الباب ، صورة شبحية لا تستطيع غير يد الموت
رسمها . فلقد كان في مواجهتي مباشرة باب يؤدي
إلى غرفة انتظار صغيرة . وكان في الغرفة ثلاث

شمعات من النوع الرخيص موضوعة في صف
واحد ، تاتي ضوءاً ضئيلاً على الجدران المغطاة
بورق رصاصي باهت اللون . وفي وسط الغرفة
مائدتان وضع عليهما قماش . على جانب رأسه شمتان
لا يكاد يكفي ضوءهما لإظهار معالم وجهه أصفر قاتم
نصف مفتوح الفم مدبب الأنف . وقد نفت الجثة
بقماش من المومس في غير نظام ، من الرأس إلى
أطراف القدمين ، وقد برزت من بين هذا الكفن
يدان صفراوان جامدتان قابضتان على صليبين من

منذ سنوات عديدة ، وفي الساعة الثانية صباحاً
اندفعت طاهيتي إلى مكثي — على غير انتظار —
باهتة اللون مضطربة ، وخبرتني أن السيدة ميمونية
المعجوز ، مالكة البيت المجاور لبيتني جالسة في المطبخ .
وفات الطاهية وهي تلهث :

« وهي ترجو ياسيدي أن تذهب إليها ، فقد
أصاب السوء نزيل دارها ... فقد أطلق على نفسه
الزناح ، أو هو قد شق نفسه »
فقلت :

« وماذا أستطيع أن أفعل .. فلنذهب إلى الطبيب
أو إلى البوليس ! »
فأت الطاهية :

« وكيف تستطيع هي أن تبحث عن طبيب :
إنها لا تقدر على التنفس إلا في غناء وجهه ، ولقد
تجمعت منكشة تحت الموقد .. فهي هالمة لا تملك
أعصابها .. فمن الإحسان أن تذهب إليها ياسيدي »
فارتديت معطفي وقبعتي وقصدت إلى بيت السيدة
ميمونية . وكان الباب الخارجي الذي أتجهت إليه
مفتوحاً ، فوقفت بجواره لحظة متردداً فيما أفعل ،
ثم تخطيت عتبة داخلا إلى فناء غير باحث عن
جرس البواب .. وفي الظلام تحت السقيفة المهتمة

في عينيه الكبيرتين اللتين رفعهما نحو صورة معجزة الوصف من الفزع والألم والتوسل ؛ وكان العرق المتحدر من جبينه ، والمعنى البادي على وجهه ، وارتجاف يديه اللتين اتكأ عليهما ، وتنفسه الثقيل ، وأسنانه المتقلصة ؛ كان ذلك كله ناطقاً بأنه يعاني من الألم ما لا تحتمله القوة البشرية . ورأيت المسدس ماقى على مقربة منه وسط يركبة من الدم

فلما انطفأ عود الثقاب سمعت صوتاً خافتاً يناديني :
« لا تذهب ، وستجد شمعة فوق المائدة »
فأشعلت الشمعة ووقفت وسط الغرفة لأدري ما أنا فاعل بعد . وقفت أنظر إلى الرجل الجالس على الأرض وقد خيل إلى أنني رأيته من قبل
وقل الرجل هامساً : الألم فوق ما أحتمل ...
وليس بي من القوة ما يمكنني من إطلاق الرصاص على نفسي مرة أخرى . وهذا عجز في الإرادة غير مفهوم ... »

فطرحت معطاني عن كتفي وأخفيت على الرجل الجريح أعني بأمره ... لحملته كالطفل بين ساعدي وأرقدته على الصفة المغطاة بالجلد الأمريكي ، وخملت عنه ملابسه في عناية ورفق ، وقد ارتجف برداً عند ما عمرته . ولكن الجرح الذي رأيته لم يكن ليتفق مع رجفته ولا مع الذي بدا على وجهه من معاني الألم . فقد كان جرحاً صغيراً . وقد مرت الرصاصة بين الضلعين الخامس والسادس في الجانب الأيسر فلم تزد على أن قطعت الجلد واللحم ، وقد وجدت الرصاصة نفسها مستقرة في طيات بطانة سترته بانقرب من الجيب الخلفي . فوقفت الزرير بحير ما استطعت من الوسائل ، واصطنعت له ضمادة وقتية من قماش إحدى الوسائد ومنشفة ومنديلين

الشمع . وكانت أركان الغرفة الصغيرة المظلمة القابضة للنفس ، والأياقين القائمة وراء النمش ، والنمش نفسه ، وفي الجملة كل شيء ، في الغرفة ، غير بصيص الضوء الخفيف ، كان ساكناً ساكناً الموت ، كأنها القبر
فقلت في نفسي وقد أجمتني هذه الصورة غير المنتظرة من صور الموت :

« ما أعجب هذا ! وماذا هذه العجالة ؟ إن تريل هذه الدار لم يكده ينتهي — على ما علمت — من شئ نفسه أو من إطلاق الرصاص عليها . . وهذا نعشه قد أعد بالفعل ! »
والتفت حولي فرأيت إلى الشمال باباً نصفه من الزجاج ، ورأيت إلى اليمين مشججاً مائلاً علق عليه معطف رث من الفراء
وسمعت أنين إنسان يقول :
« المساء ... »

وجاء الأنين من جهة الشمال من وراء الباب الزجاجي ، ففتحت ذلك الباب ودخات إلى الغرفة الصغيرة ذات النافذة الوحيدة التي تسرب من خلالها ضوء خفيف منبعث من مصباح الطريق
فقلت متسائلاً :
« أيوجد أحد هنا ؟ »

ودون انتظار للجواب أشعلت عوداً من الثقاب وهناك ما رأيته على ضوئه : رأيته رجلاً جالساً عند قدمي فوق الأرض الملطخة بالدماء . ولو أن خطوتي كانت أوسع لو طأته قدمي ؛ وكانت ساقه ممدودتين إلى الأمام وكفاه تضغطان الأرض ، بإذلاً بهذه الحركة جهده لرفع وجهه الجميل وقد غطاه شحوب وسط لحيته حالكة السواد ؛ وقد قرأت

وقدمت له قدحاً من الماء ثم غطيته بمعطف الفرو الملقى على المشجب . ولم ينبس أحداً بكلمة واحدة في أثناء هذه العملية . فقد مضيت في عملي بينما هو راقد لا يتحرك ينظر إلي بعينين مسبلتين كأنما هو يشعر بالحجل من فشله في الانتحار ومن التعب الذي سببه لي .

ولما انتهيت من تضييد جرحه قلت له :
« والآن أرجو أن تسكن في مكانك فلا تتحرك ، حتي أذهب إلى الصيدلية فأحضر بعض الشيء »
فأمسك بكى وفتح عينيه الواسعتين وقال :
« ليس تمت ما يدعو إلى ذهابك »
وقرأت في عيني الرجل معاني الفزع ، وأتقد كان خائفاً من ذهابي ، ثم عاد يقول :
« نعم ليس هناك ما يدعو إلى ذهابك ، فابق هنا خمس دقائق أخرى . . . أو عشرآ . . . إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك . أرجو يا سيدى أن تبق إلى جانبي »

وكان وهو يرجوني يرتجف وأسنانه تصطك . فأجيبته إلى ما أراد وجلست على حافة الصفة . ومرت عشر دقائق في سكون تام ، فقد جلست صامتاً أنظر حولي إلى الغرفة التي جاء بي القدر إليها على غير انتظار . فيأله من منظر ينم عن الفقر المدقع ! فهذا الرجل ذو الوجه النسائي الجميل واللحية الكثة المعنى بها ، لم يكن حوله من المتاع ما يمكن أن يحسده عليه أفقر العمال : صفة مغطاة بالجلد الأمريكى الممزق ، وكروسي رخيص قدر ، ومائدة مغطاة بقطع من الورق ، ولوحة قديمة معلقة على الجدار . . . هذا هو كل ما رأيت . أماجو الغرفة فكان رطباً قابضاً وقال الجريح وعيناه مغمضتان :

« ما أشد الريح ! وما أقسى صفيها ! »
فقلت :
« نعم إنها شديدة . . . والآن يحيل إلى أننى أعرفك » ألم يكن لك دور في المرسجية الخاصة التي مثلت بدار الجنرال لوها تشف في السنة الماضية ؟
ففتح عينيه وسأل متعجلاً :
« وماذا في هذا ؟ »
وكأنما قد غشت عينيه سحابة قائمة
فقلت :
— « إني على التحقيق قد رأيتك هناك . أليس اسمك فاسيلييف ؟ »
— « إذا صح ذلك فماذا وراءه ؟ إنه لن يحسن من حالى أن تعرفنى »
— « لا ولكنه مجرد سؤال »
وأطبق فاسيلييف عينيه ، وكأنما هو قد امتعض فأدار وجهه إلي ظهر الصفة . وقال متمماً :
« لست أفهم معنى لهفتك . ولعلك تسألني بعد ذلك عن السبب الذى دفعنى إلى الانتحار : »
وقبل أن تمضى دقيقة واحدة أدار وجهه إلى مرة أخرى وفتح عينيه وقال فى لهجة باكية :
« أرجو أن تغفر لي لهجتى ، ولكنك ستعرفنى على أننى مصيب : فليس من الكرم أن تسأل محكوماً عليه كيف دخل السجن ، ولا أن تسأل متنجراً لماذا أطلق الرصاص على نفسه . . . نعم ليس ذلك من الكرم ولا من الرقة . . . أن يشفي الانسان لهفته البليدة على حساب أعصاب إنسان آخر ! »
فقلت للرجل متلطفاً :
« ليس هناك ما يدعو لأن تثير أعصابك . . . فلم يحط لي قط أن أسألك عن تصرفاتك »

الموت . أما الآن وقد أشعلت الشمعة وأنت جالس إلى جانبي فأنتى لا أنكر حتى في ساعة الموت ، فلتفسر لى هذا التغير إذا استطعت ! هل تحسنت أحوالى ؟ أم هل بعثت امرأتى من الموت فأنقضت ناهضة من نعشها الذى رقد فيه على بضع خطوات من هذا المكان ؟ أم ترى هو تأثير الضوء فى نفسى وحضور شخص غريب إلى جانبي ؟ »

فأجبت لمجرد أن أقول شيئاً :

« لا شك فى أن للضوء تأثيراً ؛ وتأثيره فى التركيب العضوى للانسان ... »

فقاطعتى بقوله :

« إننا نسلم بتأثير الضوء ... ولكنك تعلم أن هناك أناساً ينتحرون على ضوء الشموع . ! وإنه ليكون من الشائن حقاً لأبطال رواياتك أن يستطيع شيء نأفه كالشمعة تغيير مجرى مآسيهم مثل هذا التغيير المفاجئ ... وربما أمكن تفسير كل هذا السخف ، ولكن لسنا نحن الذين نستطيع تفسيره ؛ ومن العبث أن يسأل الانسان أسئلة ما ، أو أن يقدم معلومات ما فيما لا يفهمه ... »

قلت :

« عفواً ... ولكننى أستطيع ، مما يبدو عني وجهك ، أن أحكم بأنك فى هذه الساعة ... تستطيع ما تقول »

فاجفل فاسيليف وقال :

« نعم هذا جائز جداً ؛ فإننى بطبيعتى « أباه مفرور » ؛ فيحسن أن تفسر لى ذلك إن كنت واثماً بقوتك فى قراءة الوجوه ! فمن نصف ساعة أطلقت

« لقد أوشكت أن تسألنى ... وهذا ما يعمله الناس دائماً ، ولو أنه ليس هناك من فائدة فى السؤال . على اننى لو أخبرتك لما صدقت أو لا فهمت ... ويجب أن أعترف اننى أنا نفسى لا أفهم من الأمر شيئاً ... هناك عبارات تستعمل فى إدارة البوليس وفى الصحف مثل قولهم : « الفشل فى الحب » و « الفقر المدقع » ولكن الأسباب غير معروفة ... غير معروفة لى أنا وغير معروفة لك أو لإدارات الصحف حيث يتبعجون بأن يكتبوا « يوميات منتحر » والله وحده هو الذى يعرف حالة نفس الانسان الذى يقتل نفسه ، ولكن الناس لا يعرفون شيئاً من ذلك »

فقلت :

« كل هذا حسن ، ولكنك فى حالك هذه يجب أن تلزم السكون فلا تتكلم »

ولكن لم يكن من الميسور أن أمنع جريحي من الكلام ، فقد أستاذ رأسه إلى كفه ، ومضى فى الحديث بلهجة أستاذ عظيم فقال :

« إن يستطيع الانسان أبداً أن يفهم العوامل النفسية التى تحمل المنتحر على ارتكاب جريمته ؛ وكيف يستطيع الانسان أن يتكلم عن الأسباب ؟ فقد يدفعنى اليوم سبب من الأسباب إلى اختطاف مسدس وإطلاقه على نفسى ، بينما هذا السبب نفسه لا يحملنى غداً على التضحية ببيضة فاسدة ، فالأمر كله متعلق فى الغالب بالحالة الخاصة التى يكون عليها الانسان فى اللحظة المينة ... ولأضرب المثل بنفسى ؛ فمن نصف ساعة مضت كنت أرغب رغبة ملحة فى

الرصاص على نفسي . . . وفي هذه الساعة تراني
أصطنع ما أقول . . . فسر لي هذا إن استطعت . . .
نطق فاسيلييف بهذه الكلمات الأخيرة في صوت
خافت متداع ، فقد أنهكه التعب ، ثم رقد صامتاً .
ومرت فترة سكون . فتدققت النظر في وجهه ، وقد
علته صفرة الموت ، وبدأ لي كأنما شعلة الحياة قد
انطفأت في نفسه ، وأن مظاهر الألم الذي أحس به
الرجل « الأبله المغرور » كانت هي وحدها التي
أظهرته في صورة من لا يزال حياً . . . وكان من
المؤلم أن ينظر الانسان إلى هذا الوجه . . . ولكن
ما هو شأن فاسيلييف نفسه الذي مازال يحتفظ من
القوة ما يمكنه من الجدل ، ومن الاصطناع إن لم
أكن مخطئاً ؟

ورفع الفتى نفسه فجأة على مرفقه وقال :

« أنت هنا . . . أما زلت إلى جانبي ؟ بالله : أصغ
إلى هذا ! »

فأصغيت وكان المطر ينهمر على النافذة المظلمة
ولا يتقطع لحظة واحدة ، وكانت الريح تهب عنيفة
مولولة ، ولقد سمعت السيدة ميمونية تقرأ في الغرفة
المجاورة هذه الكلمات في صوت خافت متعب :

« وسأكون أشد يابساً من الثلج وستسمع
أذناي نغمات السرور والفرح »

ولم تكن نبرات السيدة ميمونية لترتفع أو
تنخفض فهي تقرأ هذه الكلمات الجافة على وتيرة
واحدة ممتدة

وأدار فاسيلييف عينيه الجازعتين نحوى وقال
هامساً :

« أليس ذلك مما يدعو إلى الانشراح ؟ ! بالله
مما يري الانسان ومما يسمع ؛ ولو كان من
اليسور أن تطبق هذا المخرج على قواعد الموسيقى
لأمكن كما يقول هملت :

« أن نلنم الجاهل وأن نغمر حواس البصر
والسمع بأسباب التبع »

وما كان أجدرني عندئذ بأن أفهم هذا النوع
من الموسيقى ؛ وكنت أستطيع أن أشعر بما
فيه من جمال ؛ ولكن قل لي في أي ساعة نحن ؟
قلت :

« نحن الآن في الساعة الثانية والدقيقة
الخامسة والخمسين »
قل :

« إذن لا يزال الصباح بعيداً . وفي الصباح
تشيع الجنازة . وقد وضع لها برنامج لطيف ؛ وسيتبع
الانسان النعش وسط الوحل والمطر . ولا يري في
طريقه غير السماء الملبدة بالغيوم وغير مناظر الكريمة
وفتيان الدير والحانات النائية والوعول النافرة . . .
وتتفرق سراويل الانسان في الطين إلى الركب . . .
والشوارع التي لا نهاية لها . . . ويمر الوقت في بلاء
كأنه الأبدية . . . والرجال الغلاظ القلوب . . .
وفي وسط الأحجار نجد حجراً . . . ! »

وصمت لحظة ثم قال فجأة :

« هل مضى عليك وقت طويل منذ رأيت
الجنرال لوهاتشيف لآخر مرة ؟ »

« لم أره منذ الصيف »

« إنه مغرم بالتنقل ، ولكنه مجبور ضئيل الجسم

ظريف . أو مازالت تكتب القصص ؟ »

« نعم أكتب قليلا »

فقال الرجل :

« آه : أتذكر كيف كنت أصرح كالأخرق

الآبله ، كالبحار الجامح في تلك القطع التمثيلية عند

ما كنت أتودد إلى زينا ؟ لقد كان ذلك سخفا مني

ولكنه كان جيلا ، وكان فكها . . . وإن مجرد

ذكره تبعث أنفاساً من الربيع . . والآن ! ما أقسى

تغير المنظر : هاك موضوعا تكتب فيه : ولكن

لا تحاول أن تكتب « يوميات منتحرة » فهذا فضلا

عن خشونته تقليد لشيء سابق . فلستخرج من

هذا الموضوع شيئا اجتماعياً فكها »

فقلت :

« أراك مرة أخرى . . . تصطنع ما تقول ،

فليس في موقفك هذا شيء فكها »

فاستوى فاسيلييف جالساً وقد تفرق الدمع

في عينيه ، وبدأ على وجهه الباهت معنى الحزن العميق

وارتجف فكها وهو يقول :

« ليس فيه شيء مضحك ؟ تقول ليس فيه

شيء مضحك ؟ »

ثم توقف لحظة عن الكلام وعاد يقول :

« إنك تضحك من غش الكتبة الفشاشين

والزوجات الخائفات ، ولكنك لن تجد كاتباً غشاشاً

ولا زوجة خادعة قد غشا إنسانا بمثل ماغشني القدر :

لقد خدعت بما لم يحدح بمثله قط أحد المودعين

أموالهم المصارف أو أحد الأزواج المغفلين ! فلتأمل

إلى أي حد قد خدعني الخط ! فلقد شهدت بعيني

رأسك أنني في العام الماضي لم أكن أعرف ما أفعل

بنفسي من فرط السعادة . والآن هاأنذا أمام

عينيك ... »

وغاص رأس فاسيلييف في الوسادة وضحك

ثم مضى يقول :

« ليس من الممكن أن يتصور الإنسان ما هو

أشد من هذا التغير حماقة وسخفاً . فالفصل الأول

يحتوي على : الربيع والحب وشهر العسل ، شهر

العسل حقاً . والفصل الثاني : البحث عن عمل

ومكتب الرهون والتجارب والصيدلية . . والعروض

غداً في الأوحال في الطريق إلى القبرة »

ثم ضحك مرة أخرى . فشعرت بضيق شديد

وصممت على الخروج من ذلك المكان . فقلت :

« أرجوك ثانية أن ترقد هادئاً وسأذهب إلى

الصيدلية »

فلم يجبني ، فارتدت معطفي وخرجت من

الغرفة ، وعند اجتيازي النمر نظرت إلى النعش

والسيدة ميمونية تقرأ عليه . وحددت النظر عبثاً

فلم أتمكن من أن أعرف في وجه زينا الأصفر

القائم ذلك الوجه الفتان المملوء حياة ، الذي رأيته في

اجتماع دار الجنرال لوهاتشيف

فقلت في نفسي :

« طريق الانتقال . . »

وعلى هذا غادرت البيت غير ناس أن آخذ

السندس معي ، وذهبت إلى الصيدلية . ولكن

كان يجب ألا أذهب ، فقد وجدت ، بعد عودتي

فاسيلييف راقداً فوق الصفة في حال إغماء ، وقد

ويرى السيدات كيف تنفي الفتيات الريفيات أغاني الحب ، والسيدات يضحكن مما يريهن ، وهو أيضاً يضحك ممتعاً نفسه بما يحيط به من مظاهر السرور وإني لأدعوه للحضور إلى غرفة مكنتي ، فيبدو عليه أثر الامتناع لحرمته ذلك الاجتماع الهنيء ، ويقبل على فيقف أمامي وقفة الرجل الذي ليس لديه من الوقت ما يضيعه في حضرتي . وإني لأعطيه هذه القصة وأسأله أن يقرأها . وإذ كان دائماً يتفضل بالخضوع لسلطاني فإنه يتنهد تنهد القارئ الكسول ويجلس على كرسي كبير ثم يبدأ القراءة . فلا يلبث أن يقول وهو يتنسم :

« تباً لذلك كله .. يالها من أهوال ! »

ولكنه كلما أمعن في القراءة ازداد وجهه تجمهاً ، وأخيراً تحت تأثير الذكريات الموحجة يصفر لونه اصفراراً مروعاً ، ويهم واقفاً ويستمر في القراءة وهو واقف ، حتى إذا انتهى من القراءة خطر في الغرفة من ركن إلى ركن .

وإني لأسأله :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيقول متسائلاً بدوره :

« كيف تنتهي ؟ ... »

ثم ينظر إلى الغرفة ، وإلى ، وإلى نفسه ... فيرى رداءه الجديد المصنوع على أحدث طراز ، ويسمع ضحكات السيدات في الغرفة المجاورة .. يرتجى على أحد الكراسي ويبدأ يضحك كما ضحك في تلك الليلة ثم يقول :

« ألم أكن على حق عند ما قلت لك إن الأمر كله عبث ؟ يا الله ! لقد كان على أن أحمل أثقالاً تقصم ظهر الفيل ، والشیطان يعلم مبلغ ما قاسيت من ألم .. وليس في الوجود من إنسان كان يستطيع أن يحتمل

انزعجت الضمادات بعنف عن الجرح فانفتح وسال منه الدم من جديد ، وقد أشرق الصباح قبل أن أتمكن من إفاقة الجريح ورد الصواب إليه ، وكان يهذى في أحلامه ، مرتجفاً ينظر في أرجاء الغرفة بعينين لا تبصران ، حتى أقبل النهار وسمعتنا صوت القسيس يتلو الصلاة مسرعاً على رأس الميتة

ولما ملئت غرفة فاسيلييف بالمعجائر وفتيات الدير ونقل النعش من مكانه وحمل إلى الفناء الخارجي نصحت للفتى بأن يلزم البيت ، ولكنه لم يستمع إلى نصحي على الرغم من ظلمة الجو وانهمار المطر ومما يعاني هو من ألم . وسار وراء النعش عارى الرأس صامتاً طوال الطريق إلى المقبرة ، ولم يكن يستطيع نقل قدم عن قدم إلا بجهد شديد ، وكان مابين فترة وأخرى يضغط جنبه الجريح بكف عصبية متقلصة ؛ وكان المعنى المادى على وجهه يدل على فقدان الشعور . ولم يحدث ، غير مرة واحدة عندما يقظته من سباته بسؤال تافه ، أن حول نظره عن الأرض والسور انداكن ، فرأيت في عينيه لحظة بريق الغضب الحزين وقرأ على لوحة الارشاد كلمات :

« مل إلى اليمين » مكتوبة خطأ من ناحية الهجاء

فقال :

« يالهم من جهلة أميين ، فلأأخذهم الشيطان ! »

ولقد تحبته من المقبرة إلى البيت

مضى عام واحد على هذه الليلة ، ولم يكده فاسيلييف يبلى المعلنين اللتين غص بهما في الوحل وراء نعش امرأته

وفي هذه اللحظة التي أختتم فيها هذه القصة يجلس فاسيلييف في غرفة استقباله يعزف على البيانو

عندما كان ينظر إلى النافذة المظلمة . وإني لأراه وهو يلبس دوره العادي في تمثيل المحدث الذي اللبى ، مستعداً لأن يعرض أمامي نظرياته البليدة كمنظارية « تحويل المادة » وأذكر في الوقت نفسه جلسته في وسط بقع الدماء رافعاً إلى عينيها الذابتين التوسلتين .
وإني لأسأل نفسي في صوت عال :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيصفر فاسيلييف ويسوى رباط رقبته ويسير متجهاً إلى غرفة الاستقبال فأنظر إليه محققاً . والسبب ما آسف على ما شهدت من آلامه الماضية ، آسف على كل ما شعرت به أنا نفسي نحو ذلك الرجل في تلك الليلة الفظيعة الهائلة وأنه ليخيل إلى كأنني قد فقدت شيئاً ...
عبد الحميد ممدى

من الآلام فوق ما احتملت فيما أظن ، فأين هي آثار ذلك كله ؟ إن الأمر ليدعو إلى الدهشة . فقد كدت أظن أن الأثر الذي تركه الآلام الفاسية في نفس الإنسان لا يمكن أن يمحي وتطمس معالمه وأنه لابد باق أبداً . ومع ذلك أرى هذا الأثر يبل بأسهل مما يبل النملان الرخيستان ، ولم يبق منه شيء ولو تافهاً ضئيلاً ، حتى ليخيل إلى أنني لم ألتزم قط في ذلك الحين ، بل لكانت أرقص رقصة المازوركا .
إن كل ما في الوجود زائل ، وهذا الزوال نفسه عبث باطل : وإنه ليدان واسع للروائي الاجتماعي ! فلتضع نفسك ، يا صديقي ، خاتمة فكهة !

وهنا وصل إلى سمي صوت السيدات القلقات ينادين على بطل قصتي :

« بيتور سيكون لا يفتش ، ألا تأتي في الحال ؟ »

فيجيب الرجل « الممرور الأبله » وهو يسوى رباط رقبته :

« في هذه الحقيقة »

ثم يتم حديثه ممي فيقول :

« إن كل شيء عبث يدعو إلى الأسف يا صديقي .

نعم عبث يدعو إلى الأسف ، ولكن ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل ؟ إن كل شيء زائل ، وإني لأشكر — على كل حال — لأمتنا الطبيعة عملها في تحويل المادة . ولو أننا احتفظنا بذكرى موجعة لما يتناها من آلام الأسنان ومن جميع الأهوال التي لابد أن يقاسمها كل واحد منا ، ولو أن كل هذه الأمور كانت باقية أبدية لتقضيها نحن الفنانين الساكنين أسوأ الأوقات في هذه الحياة الزائلة »

وإني لأنظر إلى وجهه الباسم فأذكر ما كانت تفتش به عيناه منذ عام من معاني اليأس والفزع

تاريخ الأدب العربي

لـؤـسـتـار أحمد من الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب